بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 70 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:16\01\2024 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

ما زال الكلام في الآية الأخيرة من المقطع الذي نبحث عنه، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ هذا كانَ لَكُمْ جَزاءً وَكانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً﴾.

هناك إشكال وشبهة سجلها جماعة، منهم الفخر الرازي، حاصلها: تبتني على مقدمة يلتزمون بها، وهي أن أفعال العباد مخلوقة لله تبارك وتعالى، فحينئذ الفعل الذي صدر عن هؤلاء الأبرار إطعام للطعام، وإطعام الطعام بناء على هذا المبنى هو فعل للباري تبارك وتعالى، وفي الوقت نفسه يريد أن يجازي على هذا الفعل، والجزاء -أيضاً- فعل للباري تبارك وتعالى، فيلزم من ذلك أن الله يجازي على أفعاله هو، وهذا واضح البطلان.

إذا أردت أن تجازي شخص فتجازيه على فعله، لا على فعلك الصادر منك. مثلاً: من يحل هذه الشبهة له جائزة، فإذا لم يستطع أحد أن يحل هذه الشبهة، وجئت -أنا- حللت هذه الشبهة، فحلّ الشبهة مني والجائزة مني، فلا معنى لذلك.

خلاصة الأمر: كيف يعقل أن يكون فعل الله جزاءً على فعل الله؟ تحيروا في جواب هذه الشبهة.

لكن كما هو واضح أن هذه الشبهة تبتني على هذا المبنى الفاسد للأشاعرة، ونحن لا نقول به.

هناك رواية عن أبي حسن الثالث[1] عليه السلام (أنه سئل عن أفعال العباد فقيل له [هل هي] مخلوقة لله تعالى؟)[2] فهي صريحة في هذا المبنى. هذا في برهة زمنية كان يوجد خوض كبير في هذه المسألة الاعتقادية، أن أفعال العباد هل هي مخلوقة للبارئ تبارك وتعالى أم لا؟

الرواية: (أنه سئل عن أفعال العباد فقيل له [هل هي] مخلوقة لله تعالى؟ فقال عليه السلام لو كان خالقاً لها لما تبرأ منها، وقد قال سبحانه ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ ولم يرد البراءة من خلق ذواتهم

[1] الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.
[2] تصحيح اعتقادات الإمامية، ص: 43.

وإنما تبرأ من شركهم وقبائحهم)[3]. فلا معنى للقول أنه بريء من ذواتهم؛ إذ هو خلقهم. وفي مثل هذه الموارد يكون تعليق الحكم على وصف ليس فقط مشعراً بعلية ما منه اشتقاق الوصف، بل يدل عليه بوضوح لا مجرد الإشعار، أي: بريء من المشركين لأجل شركهم؛ لأجل هذا الوصف، فلو كان الشرك فعلاً له تبارك وتعالى، أي: يكون الباري بريء من أفعاله. وهذا هو نص الرواية.

فلو كان هو فاعلها فلا معنى لأن يتبرأ من فعله نفسه، هذا يمكن أن يقال في غير الحكيم الذي يقوم بعمل ثم يندم عليه ويتبرأ منه. أما عندما نتكلم عن الباري تبارك فلا يمكن أن يتبرأ من فعل نفسه.

هذا واحد من الأدلة، وعندنا أدلة كثيرة على ذلك كما بحث في محله.

إذاً هذه الشبهة تبتني على مبنى باطل عاطل، وهناك فرق بين أن نسند خلق الأفعال إلى الله تبارك وتعالى وبين أن نقول إن هذه الأفعال صدرت من المخلوق، لكن باعتبار أنه مخلوق للباري تبارك وتعالى فتسند إليه بالعناية والواسطة والمجاز.

فلو لم يخلق زيداً لما أشرك، لكن الفعل لا يسند إليه حقيقة، فيتنافى مع اختيار الإنسان، بل نظرية الأمري بين الأمرين ترجع إلى هذا الذي أشرت إليه قبل قليل، لا أن هذا الفعل مخلوق له.

نعم، كان يستطيع أن يمنع من حصول هذا الفعل، لكن هذا لا يسند إليه.

إذاً هذه الشبهة باعتبار أنها تبتني على هذا المبنى الباطل فلا داعي للبحث عن جوابها على تقدير ثبوت هذا المبنى.

وبهذا يتم كلامه في هذه الآية، وبها ينتهي البحث في المقطع السابق.

الآية الثالثة والعشرين، قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلا﴾.

كما بحثنا مراراً، وفي تفسير سورة لقمان بحثنا ذلك بشكل مفصل وموسع، وهو أن السياق كما يكون بين الآيات ضمن مقطع واحد، كذلك يكون بين المقاطع، كما لا بد أن نبحث عن الترابط السياقي بين

[3] تصحيح اعتقادات الإمامية، ص: 43

الآيات الموجودة ضمن مقطع واحد فلابد أن نبحث عن الترابط السياقي بين المقاطع في السورة الواحدة. وعرفنا سابقاً أن قلَّ من تناول مثل هذه البحوث من علماء التفسير.

هذه الآية هي بداية مقطع جديد، كل من يقرأ ما تقدم ثم يبدأ من هذه الآية وما بعدها ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلا () فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً () وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾ فهي لا ربط لها بالمقطع السابق، وإلى آخر ما جاء في هذه السورة.

تصدى العلامة الطباطبائي رحمه الله لبيان الترابط السياقي مع المقطع السابق، فذكر أنه في المقطع السابق كان عمدة البحث فيه هو عمل الأبرار مع ما يجازيهم الباري تبارك وتعالى على عملهم. هذا عمدة البحث في المقطع السابق.

فإذاً هذه المجازاة أعطيت للأبرار لما صبروا في جنب الله وفي طاعته على التفصيل المتقدم في الآيات السابقة.

أما هنا فيرى أن الترابط نشأ من الآية الرابعة والعشرين، وهي الآية الثانية في هذا الجديد، الآية الأولى في هذا المقطع ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلا﴾ والآية الثانية في هذا المقطع ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾ فهنا الترابط، الأبرار جزاهم بما تقدم لصبرهم على طاعة الله وفي جنب الله، فالآن وجه الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله، فيا أيها الرسول ومن معك ومن يتبعك عليكم أن تصبروا على حكم الله لتنالوا ذلك الجزاء.

هذا هو رأي العلامة رحمه الله في بيان الترابط السياقي بين المقطعين.

ومثل هذا الوجه قد تقدم مناقشته في سورة لقمان، ومجرد أن يكون هناك آية في مقطع يمكن أن تكون متناسبة مع المقطع السابق هذا لوحده لا يكفي في إيجاد الترابط السياقي بين المقطعين. فكيف إذا كانت هذه الآية في المقطع الثاني تشتمل على لفظ –وهو الأمر بالصبر– تكلفناه في المقطع السابق، لا أن المقطع السابق يشتمل عليه.

لو كان في المقطع السابق صراحة، أن الله تبارك وتعالى بعد أن خلق الإنسان من نطفة أمشاج وابتلاه وأوجد له السمع والبصر ووسائل الهداية والمعرفة، فأمر الإنسان بأن يصبر، فصبرَ، فنال جزاء الأبرار، فحينئذ نسلم الترابط الذي ذكره العلامة الطباطبائي؛ لأنه -أيضاً- في هذا المقطع أمرهم بالصبر.

لكن الأمر بالصبر لم يتقدم في المقطع السابق، العلامة هو الذي استنتجه. الترابط السياقي ينبغي أن يكون ترابطاً سلساً؛ لأن السياق من مصاديق كبرى الظهور، فلابد يكون ظاهراً، لا أن نتكلف وجه لهذا الترابط، ومجرد أنه أمره بالصبر.

إذاً هذا الذي أشار إليه العلامة الطباطبائي لا نقبله.

هناك وجه آخر ذهب إليه الفخر الرازي، وهو وجه مفصل، وفي ختام بيانه حمد الله تبارك وتعالى على أن نوّر عقل هذا المسكين بهذا الوجه، فهذا الوجه يراه وجهاً مهماً.